مفاهيم الإنسانية في شاهنامة الفردوسي

الدكتور محمد علوي مقدّم

جامعة الفردوسي ـ مشهد

الشاهنامة ملحمة شعريّة تناول فيها الفردوسي تاريخ ايران القديم منذ بداية الحضارة الايرانية إلى سقوطها. وتنقسم إلى ثلاث فترات، تبدأ الأولى من حكم كيومرث وهوشنج وطهمورث وجمشيد والضحّاك وتنتهي بظهور فريدون وجلوسه على العرش وتغلب عليها الصّبغة الأسطورية، وتبدأ الفترة الثانية من قيام كاوه الحدّاد واجلاسه فريدون على العرش وتنتهي بقتل رستم وحكم بهمن بن اسفنديار وتتجلّى فيها كلّ مميّزات الملحمة. والفترة الثالثة هي الفترة التاريخية التي تحدّث فيها عن الإسكندر ولم يذكر خلفاءه.

ويمتاز الفردوسي في الشاهنامة بعفّة اللّسان والإكثار من الموعظة والنصيحة والحكمة التي ساقها في نهاية كلّ قصّة أوردها لتكون عبرة للقارئ.

شاهنامة الفردوسي ذات موضوعات مختلفة. والفردوسي شاعر ملحميٌ لا يُضاهيه احدٌ من شعراء ايران بل العالم. وقد اورد في ملحمته، بالاضافة الى حديثه عن القتال نصائح ومواعظ وتناول موضوعاتٍ متعدّدة بعبقرية فذّة. ولم يكن عمله على وتيرة واحدة ولكنّه متنوع إلّا انه نظمها على وزن وشكل واحد.*

موضوع الشاهنامة، هو تاريخ ايران القديم منذُ بداية الحضارة الايرانية القديمة الى سُقوطها. وهذه الفترة على طولها تنقسم الى ثلاث مراحل:

المرحلة الاولى ـ العهد الاسطوري الذي يبدأ من حكم كيومرث وهوشنج وطهمورث وجمشيد والضحّاك، وينتهي بظهور فريدون وجلوسه على العرش. وليست لهذه المرحلة من الشاهنامة قيمةٌ ملحميةٌ، بل هي على العكس، تغلب عليها صبغة الأساطير.

المرحلة الثانية ـ العهد الملحمي او البطولي الذي يبدأ من قيام كاوه الحدّاد واجلاسِه فريدون على العرش وتقسيم فريدون مملكته بين ابنائه الثلاثة: سلم و تور و ايرج. وتنتهي هذه المرحلةُ بقتل رستم وحُكم بهمن بن اسفنديار.

وفي هذه المرحلة نفسها من الشاهنامة تتجلّى كلّ مميّزات الملحمة.

فالملحمة شعرٌ يصفُ الأعمال البطولية والخارقة للعادة التي توجب الفخر، كما يصف امجاد قوم أو أُمّةٍ، وفي بعض الاحيان امجاد فردٍ. وفي الشعر الملحمي تذكر الأعمال

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-03]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1411.2.12.1.3]

البطولية في صورة قصّةٍ أو قصص.

ومن الممكن ان تكون المنظومات الحماسيّة ذاتَ صبغةٍ قوميّةٍ تتحدّث عن حروبِ أُمّةٍ وبطولاتها وتضحياتها، ومن خلال ذلك تتحدّث عن حضارتها وظواهرها الفكرية والثقافيّة خلال العصور.

ومن الممكن ان تكون المنظومة الحماسيّة تاريخيّة، نشأت نتيجة للاهتمام بالحقائق التاريخيّة وامتزاج الاحداث التاريخيّة بالموضوعات القصصية**.

وقد يكون لها أحيانا اخرى، صبغة دينية نظمها مؤلّفوها نتيجة لعقيدة دينيّة حادة***.

المرحلة الثالثة ـ من مراحل الشاهنامة، هي المرحلة التاريخية التي يقلّ فيها ـ الى حدّ ما ـ اسلوب الفردوسي عظمة وتخفّ حدّة لهجته. وفي هذه المرحلة يلقّب بهمن بن اسفنديار بلقب اردشير ويوصف بـ [درازدست] أي واسع الباع.

وفي هذه المرحلة نفسها لم يذكر الفردوسي خلفاء الاسكندر، مع انّه ذكر الاسكندر نفسه؛ لانّ المصادر التي كانت بين يديه التزمت الصمت عند هذا الموضوع، ولانّه لم يكن يعرف عن السلوقيين شيئاً قطّ، ولا عن فترة حكم الاشكانيين التي بلغت خمسة وسبعين واربعمائة عاماً.

ويقول الفردوسي بعد ذكر بعض ملوكهم:

چو كوتاه شد شاخ وهم بيخشان
نگويد جهانديده تاريخشان
از ايشان جز از نام نشنيدهام
نه در نامهٔ خسروان خواندهام[1]

يعني: لما كان اصلهم وفرعهم قصيراً لم يحدّث اهل التجارب بتاريخهم. ولم اسمع عنهم الّا الاسم ولا رأيتهم في كتاب الملوك.

ولذلك نظم الفردوسي ثمانية عشر بيتاً فقط عن هذه الاسرة.

والحقيقة ان معظم نصائح الفردوسي ومواعظه الاخلاقيّة ومفاهيم الانسانية، ترد في هذا الجزء من الشاهنامة، الذي تحدّث فيه عن بزرجمهر الحكيم وهو في غاية البلاغة، وعلى هذا يقول «نلدكه»: انّها ملحمةٌ لا نظير لها عند أُمّةٍ اخرى؛ فاذا قسنا الشاهنامة باعظم الملاحم الاخرى وابعدها صيتاً تبيّن الفرق بينهما[2]. ولعلّ ابن الاثير قد اطلق على الشاهنامة قرآن العجم[3] نتيجةً لهذا الجزء. يقول في الفرق بين النثر والشعر: «انّ الشاعر اذا احتاج الى الإطالة بان ينظم مائتي بيتٍ او ثلاثمائة، يستطيع بالتأكيد ان يجيد في شعره، الّا انّ بعض هذه الأشعار، يكون جيّداً واكثرها يكون رديئاً واهناً. وبالرغم من هذا فانّ الشاهنامة تستثنى من هذا الرأي، فكلّها في غاية الفصاحة والبلاغة»[4].

وعند الفردوسي شيء آخر جديرٌ بالانتباه، هو عفّة لسانه، ففي الشاهنامة كلّها لايوجد لفظ قبيح او عبارة مستهجنة؛ اذ لم يلوث الفردوسي لسانه بالهزل والقبائح. وحيثما اقتضت رواية ما ان يذكر نقطة باعثة على الخجل كان ينقلها بألطف عبارةٍ وأجملها[5].

ففي قصّة عشق زال [والد رستم] وروذابه [والدة رستم] عندما يريد ان يقصّ كيف انّ روذابه ارخت ضفائرها من أعلى القصر الى أسفله، حتّى يتسلّق زال عليها، يقول[6]:

«خُذ بطرف ضفيرتي من ناحيتك، فمن اجل مثلك ينبغي ان تكون هكذا دائماً».

«ومن اجل ذلك اَطلتُ هذا الشعر، حتّى يكون معيناً للحبيب».

اين نستطيع ان نجد شبيهاً لهذا المصنوع البديع؟!

في الواقع انّ الفردوسي نظم غزلاً في قالب المثنوي، غزلاً يمكن من حيث رقّته وسلاسة افكاره وجمال عباراته وتناسب الفاظه ان يماثل غزليّات العصور التالية.

وللفردوسي أيضاً مراثٍ حسنة، لكن ينبغي ألّا تتوقّع أن يترك الفردوسي الحديث عن البطولة عند نظمه للمراثي.

فعلى سبيل المثال تعدّ قصّةُ «ايرج» من المراثي الحسنة في اللغة الفارسيّة.

وعلى سبيل المثال ايضاً نظم الفردوسي بعد ذكره لمقتل سهراب واسفنديار على يد رستم، مراثي رائعة.

فعندما وصل خبر موت سهراب الى أُمّه، وصف الفردوسي حداد والدته عليه بقوله:

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-03]
[DOR: 20.1001.1.23834269.1411.2.12.1.3]

به مادر خبر شد كه سُهراب گُرد
زتيغ پدر خسته گشت و بمُرد
برآورد بانگ و غريو و خروش
زمان تا زمان زو همى رفت هوش
مرآن زلف چون تاب داده كمند
به انگشت پيچيد و از بُن بكند
به سر بر فكند آتش و برفروخت
همى موى مشكين به آتش بسوخت[٧]

وللفردوسي، فضلاً عن هذا، مرثيةٌ مثيرة للحزن نظمها في موت ابنه، وهي تدلّ في الوقت نفسه، على تحمّل الشاعر وشدّة جلده وقدرته الشاعرية، فيقول[٨]:

مرا سال بگذشت بر شصت و پنج
نه نيكو بود گر بيازم به گنج
مگر بهره گيرم من از بند خويش
براندیشم از مرگ فرزند خويش
مرا بود نوبت برفت آن جوان
زدردش منم چون تنى بى روان
الخ

يعني: تجاوز عمري الخامسة والسّتين، وليس من المستحب أن أطمع بعد في مال. ربّما آخذُ نصيباً من مواعظي، وأفكّر في موت ولدي.

كان الدور، دوري وذهب ذلك الشاب، ومن ألمي عليه صرتُ كأنّي جسدٌ بلا روحٍ.

لا تقتصر شاهنامة الفردوسي على الاشعار الحربيّة فحسب، بل عندما يقتل بطلٌ او يموت شخص عظيم يأخذ في نصح الآخرين من البشر الغافلين عن نهاياتهم، المتكالبين على الدنيا، الغارقين في الإثم ويبدي غدر الايّام ويكشف عن وجه الموت ويطلب من عبّاد الدنيا وطغاتها ان يعتبروا بما حدث وكأنّه يقول:

ايّها الظلمة! لا تظلموا واعلموا انّكم ايضاً ميتون يوماً ما.

يقول في موضعٍ آخر[٩]:

كجا آن سر و تاج شاهنشهان
كجا آن بزرگان و فرخ مهان؟!
كجا آن سواران و گردان كشان
گز ايشان نه بينم به گيتى نشان؟!
كجا آن پرى چهرگان جهان
كز ايشان بُدى شاد جان مهان؟!

يعني: أين رؤوسُ الملوك وتيجانُهم. أين اولئك الفرسان والأبطال الذين كانت روح الدنيا بهم سعيدة. وأين حسان الدنيا اللائي، لا ارى منهنّ اثراً فيها.

ويقول الفردوسي في موضع ثالث[١٠].

زمين گر گشاده كند راز خويش
نمايد سرانجام وآغاز خويش
كنارش پر از تاجداران بود
برش پُر زخون سواران بود
پُر از مَرد دانا بود دامنش
پر از ماهرُخ جيب و پيرامنش

يعنى: لو ان الدنيا افشت سرّها. لأبدت مبدأها ومنتهاها.

كان كنفها ملينا بذوي التيجان، وكان صدرها مروياً بدم الفُرسان.

وكان حِجرُها ملينا بالعلماء ومفعماً بالحسان سافرات الوجوه والأبدان.

في الحقيقة يريد ان يقول:

في هذه الدنيا، عاش متوجون، وفي هذا العالَم كان هناك علماء وعلى هذه الارض تبخترت حسانٌ وكلُّهم مضوا.

واحياناً يسأل الفردوسي نفسه بحزن زائد عن الحدّ:

اين مضى كلُّ اولئك الملوك؟! إلى أين مصير الظالمين؟! واولئك الحسان ربّاتُ الدّلال إلى أين انتهينَ؟

انّ كل هذه الاسئلة من اجل ان يعتبر القرّاء فلا يظلم احدٌ احداً، بل يجب ان تسود الرحمة وتنتشر المحبّة بين الجميع. فيقول[١١]:

كجا آن سرو تاج شاهنشهان؟
كجا آن دلاور گرامى مهان؟
كجا آن حكيمان و دانندگان
همان رنج بردار خوانندگان؟
كجا آن بُتان پر از ناز وشرم
سخن گفتن خوب و آواى نرم؟

يعنى: أين هاماتُ الملوك وتيجانُهم؟ واين اولئك العظماء والسادة الاماجد؟

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-03]
[DOR: 20.1001.1.23834269.1411.2.12.1.3]

أين اولئك الحكماء والعلماء؟ وأين من تحمّلوا المشاق من القرّاء؟

أين اولئك الحسان ذوات الدلال والحياء؟ واين الحديث اللّين والصوت الناعم؟!

واحياناً يقول الفردوسي في الشاهنامة عن لسان بزرجمهر الذي تعجب الحكماء من كلامه وفصاحة منطقه ووفور علمه وحكمته. سأله أحدَ الحكماء عن الخصال التي يستحقّ صاحبُها التقدم: فقال بزرجمهر:

الرفق والكرمُ والتواضعُ والبذل لا لطلب مجازاة ومكافأة وبلا شائبة منٍّ ولا اذى وسأله آخر عن خير خصال المرء. فقال:

ان يعرفَ عيبَ نفسه فيصلحها.

دگر گفت كاندر خردمند مرد
هنر چيست هنگام ننگ و نبرد
چنين گفت كان كس كه آهوى خويش
ببيند بگرداند آيين وكيش[١٢]

وسأله آخر: بماذا يطيب عيش الانسان ويقلّ تعبه؟ فقال: بان يجمع بين العقل والحلم ويعدل في الإعطاء والأخذ ولا يكون عنده نقيصةً ولا زيغٌ، ويعفو عند الاقتدار ولا يكون حديداً غير حليم.

بپرسيد ديگر كه در زيستن
چه سازى كه كمتر بود رنج تن
چنين داد پاسخ كه گر با خرد
دلش بردبار است، رامش برد
به داد وستد در كند راستى
بيندد دَرِ كژى و كاستى
ببخشد گنه چون شود كامكار
نباشد سرش تيز ونابردبار[١٣]

وسأله آخر: من المحافظ على نفسه؟ فقال: من خالف هواه ولم يتبع مُناه.

بپرسيد ديگر كه از انجمن
نگهبان كدامست بر خويشتن
چنين گفت كان كو پس آرزوى
نرفت از كريمى و ازنيك خوى[١٤]

وسأله آخرُ ايّ العطاء احسن؟ فقال:

ما كان من غير سؤال وبلا منّ.

دگر گفت كز بخشش و نيك خوى
كدام است نيكوتر از هر دو سوى
چنين گفت كان كس كه ناخواسته
به بخشش كند جانش آراسته[١٥]

وفي بيت آخر يقول الفردوسي: والباذل اذا لم يجد لنفسه عن الامتنان زاجراً فلا تجعله الّا تاجراً.

وگر بر ستاننده آرد سپاس
زبخشنده بازارگانى شناس[١٦]

وقال لبزرجمهر آخر: كيف السبيل الى تحصيل الذكر الجميل؟ فقال: تباعد عن الذنوب واحبّ لغيرك ما تحبّه لنفسك.

چه سازيم تا نام نيك آوريم
وزآغاز فرجام نيك آوريم
بدو گفت: سو دوربس از گناه
جهان را همه چون تن خويش خواه
هرآن چيز كانت نيايد پسند
تن دوست و دشمن درآن بر مَبند[١٧]

وسأله آخر وقال بزرجمهر: من الذي يستحق الثناء؟ فقال: الذي يعبد اللّه الذى عنت له الوجوه وتخشاه وترجوه.

سزاى ستايش دگر گفت كيست؟
اگر برنكوهيده بايد گريست
چنين گفت كان كو به يزدان پاك
فزون دارد اميد و هم بيم وباك[١٨]

وقال آخر: اخبرني بخصلةٍ مرضيّةٍ عند العقلاء.

فقال: اَلّا يحزن الرجلُ على ما يفوته ويقطع الرجاء عمّا يبعد تكوينه.

دگر گفت كان چيست اى هوشمند
كه آيد خردمند را آن پسند
چنين گفت كان كو بود پُر خرد
ندارد غم آن كزو بگذرد
دگر كو زنابودنيها اميد
ببرد برآن گونه كز بار بيد[١٩]

يعدُّ الفردوسي في الشاهنامة عن لسان بزرجمهر، اخلاق العاقل المنجية وكذلك اخلاق الجاهل المردية قائلاً:

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-03]
[DOR: 20.1001.1.23834269.1411.2.12.1.3]

امّا الخمسة المنجية فهي ألّا يجزع على ما فات ولا يفرح بما هو آتٍ، ولا يرجو ما لا يكون، ويحذر من عواقب الامور واذا حزبه حازبٌ كافحه من غير جبن ولا خور.

خوی مرد دانا بگوییم پنج
کزآن عادت او خود نباشد به رنج
چو نادان کند خوی با هفت چیز
نباشد شگفت اَر به رنج است نیز
نخست آنکه هرکس که دارد خرد
ندارد غم آن کزو بگذرد
نه شادان کند دل به نایافته
نه گر بگذرد زو شود تافته
چو از رنج وز بد تن آسان شود
زنابودنیها هراسان شود
چو سختیش پیش آید از هر شمار
شود پیش وستی نیارد به کار[٢٠]

ثم يقول عن اخلاق الجاهل المردية:

وامّا السبعةُ المهلكةُ فاحدها ان يغضب من غير موجب للغضب. والثاني ان يعطي من لا يستحق فيكون غير مأجور ولا مشكور. والثالث ألّا يعرّف قدر نفسه فيكفر نعمة ربّه. والرابع ألّا يكتم سرّهُ ويفشيه. والخامس ان يتكلّم بما لا يُعنيه فيقعد مهموماً ملوماً. والسادس ان يأمن غير ثقة ويصاحب غير ذي مقة. والسابع ان يكذب ويصرّ على الكذب.

زنادان که گفتیم هفت است راه
یکی آنکه خشم آورد بی گناه
گناید در گنج بر ناسزا
نه زو مزد یابد نه هرگز جزا
سه دیگر به یزدان شود ناسپاس
تن خویش را در نهان ناشناس
چهارم که با هرکسی راز خویش
بگوید برافرازد آواز خویش
به پنجم به گفتار ناسودمند
تن خویش دارد به درد وگزند
ششم گردد ایمن به نا استوار
همی پرنیان جوید از خار بار
به هفتم که بستیهد اندر دروغ
به بی‌شرمی اندر بجوید فروغ[٢١]

ويقول الفردوسي في موضعٍ آخر:

ترا دین ودانش رهاند درست
ره رستگاری بیابدت جُست[٢٢]

يعني: لا ريب انّ في العلم والدين نجاتك، فتحرّ ما استطعت سبيل النجاة.

كما يخبر الفردوسي في منظومته القارئ وينبّهه إلى أنّ العمل السيّئ لا يُفضي إلّا إلى النتيجة السّيئة، وان الطريق المعوج لا يوصل الانسان إلى الهدف بل يضلّه، واذا قدم الانسان الشّر لا يجني الّا الشّر، يقول:

مکن بد که بینی به فرجام بد.
زبد گردد اندر جهان نام بد[٢٣]

يعني: لا تُسئ ففي النهاية يُساء اليك، وفي الدنيا يسوء اسم الانسان من فعله السوء ويقول:

نگیرد ترا دست جز نیکوی
گر از مرد دانا سخن بشنوی[٢٤]

يعني: لا يأخذ بيديك إلّا الخير، ذلك اذا استمعت جيّداً الى كلام الحكيم.

ويقول الفردوسي ايضاً:

وگر بد کنی جز بدی ندروی
شبی در جهان شادمان نغنوی[٢٥]

يعني: اذا زرعت السوء فانك لا تحصد إلّا السوء ولن تنام ليلةً في الدنيا سعيداً.

واحياناً ينصح الفردوسي الناس فيقول:

هر آن کس که اندیشهٔ بد کند
به فرجام بد با تن خود کند[٢٦]

يعني: اذا فعل الانسان الشّر لا محالة سوف يصابُ بالاذى.

ويقول ايضاً:

جهان را نباید سپردن به بد
که بُر بدکنش بی‌گمان بد رسد

يعني: ينبغي الّا يعاش في الدنيا بالشّر؛ لأنّ المُسيء بلا شكّ واقع في الاذى.

واحياناً يعظُ الملوك فيقولُ:

اگر داد دادن بود کار تو
بیفزاید ای شاه مقدار تو[٢٧]

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-03]
[DOR: 20.1001.1.23834269.1411.2.12.1.3]

يعني: اذا كان دَيْدَنُك اجراء العدل، فإنّ منزلتك ايّها الملك في ازدياد.

ويقول في موضعٍ آخر:

چو خسرو به بيداد كارد درخت
بگردد از او پادشاهی وبخت[٢٨]

يعني: اذا زرع الملك شجرةً ظُلْماً؛ فانّ المُلكَ والاقبال يُدبران عنه.

ويعظُ الفردوسي بلسان رجلٍ عالمٍ مستنير القلب الحُكّام، ويقول:

ينبغي ألّا يسعى الحكّام الاقوياء في ايذاء المحكومين، فانّ عاقبة الجميع ألموت، حيث يصير فراشُهُم التُراب ومتكأهم اللبنَ. وما افضل ان يحسن الانسان عمله. يقول:

چو خواهی كه آزاد باشی زرنج
بی‌آزار وآكنده بی‌رنج گنج
بی آزاری زير دستان گزين
چو خواهی كه يابی به داد آفرين
نهالين همه خاك دارند وخشت
خنك آن كه جز تخم نيكی نكشت[٢٩]

يعني: اذا كنت تريد ان تخلص من العناء وان يكون لك كنزٌ ممتلئ بلا مشقّةٍ او تعبٍ، فاختر عدم ايذاء من هُم دونك، اذا اردت ان تمدح بالعدل فانّ فراش الجميع الترابُ واللبنُ، وما اسعد ذلك الذي لم يغرس الاّ بُذور الخير.

ويمدح الفردوسي في موضعٍ آخر، الحاكم العادل ويقول من الممكن ان يكون الحاكم العادل بلا حمايةٍ وجندٍ، ولكن العدل والاستقامة يكونان حارسيْه وفي قلوب الناس ملجأهُ يقول:

اگر دادگر چند بی‌كس بود
ورا راستی پاسبان بس بود[٣٠]

يعني: ان يكن العادلُ بلا جندٍ فحسبه الاستقامة حارساً.

ويعتقد الفردوسي انّه ينبغي ان يقاومُ الظلم ويجتثه من جذوره. ويقول:[٣١]

ستمكاره را زنده بر دار كن
دوبايش زبر، سرنگونسار كن

يعني: اشنق الظالم حيّاً، اجعل قدميه الى اعلى ورأسه إلى أسفل.

ويرى الفردوسي انّ الاجتهاد والجهد في كلّ مراحل الحياة المادّية والمعنوية، ضروريان، لتقدم البشر ورقي المجتمع الانساني، يقول:

بيا تا جهان را به بد نسپريم
به كوشش همه دست نيكی بريم
به هركار كوشا بيايد شدن
به دانش نيوشا بيايد شدن[٣٢]

يعني: انتبه لئلا نمضي الحياة في الشّر ولنجاهد في انّ نمدّ يد الخير.

ينبغي ان نصير مكافحين في كلّ امر، وان نصير مستمعين الى المعرفة.

ويقول في موضعٍ آخر: اذا لم يكافح البشر في الحياة فانّهم لن يصلوا الى التوفيق ولن يحقّقوا آمالهم ورغباتهم. فانّه يقول:[٣٣]

زكوشش مكن هيچ سستی به كار
به گيتی جز او نيست پروردگار
چو كوشش نباشد تن زورمند
نيارد سر آرزوها به بند

يعني: لا تتوانَ ابداً في عملك؛ فانّ اللّه شاهدٌ عليك في الدنيا.

وعندما لا يكون القوي جلداً، فانّه لا يحصل على رغباته قطّ.

ويرى ايضاً انّ الوهن والكسل هما سبب مرض الجسد، ومرض الجسد سبب وهن الفكر.

چنين گفت يك روز كز مردِ سُست
نيايد مگر رايِ ناتندرست
بدان گه كه در كار سستی كنی
همه راى ناتندرستی كنی[٣٤]

يعني: هكذا قال الحكيم، ذات يومٍ: انّه لا يتاتّى من الرجل الواهن الاّ الرأي الواهن وفي الوقت الذي تهن فيه عملك، فانّك تلقي بالآراء جزافاً.

ويرى الفردوسي: انّ الجهد والجدّ لازمان ايضاً لجمع المال، فيقول:[٣٥]

به رنج اندراست اى خردمند، گنج
نيابد كسی گنج نابرده رنج

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-03]
[DOR: 20.1001.1.23834269.1411.2.12.1.3]

تن آسانی وکاهلی دور کن
بکوش وز رنج تنت سور کن
که اندر جهان سود بی‌رنج نیست
کسی را که کاهل بود، گنج نیست

يعني: انّ الكنوز ايّها العاقل كامنةٌ في التعب، ولايجد الكنز من لم يتحمل المشّاق فخلّ عنك حُبَّ الراحة والكسل، وأسعد جسدك بالكفاح والجدّ. ففي الدنيا لايوجد نفعٌ بلا جهد، وليس للكسول نصيبٌ من الكنز.

وفي موضع آخر يذمّ الفردوسي الكسل والبطالة ويعتقد انّ الكسل من مثالب البشر، وانّ الانسان يستطيع بالهمّة العالية والجدّ والارادة القويّة ان يتخلّص من مرض الكسل ويرى انّه لكي تنجلي الظلمات عن الطبع والفكر، ينبغي ان يكافح الانسان؛ لانّ الانسان هو الذي يملك علاجاً للكسل والبطالة، وأنّ الجدّ والكفاح هما العلاج الوحيد للامراض الانسانيّة[٣٦].

ويعتقد الفردوسي في فضيلة السعي والكفاح الى حدٍّ انّه يرى ان هذه الفضيلة ذات اثرٍ كبيرٍ حتّى في الحصول على الجنّة الخالدة، يقول:[٣٧]

به کوشش بجویم خرّم بهشت
خنک آن که جز تخم نیکی نکشت

يعني: فلنبحث عن الجنّة الرغدة عن طريق السعي، فما اسعد ذلك الذي لم يغرس الاّ بُذور الخير.

إنّ ما يعتقده البعض بانّ الفردوسي، شاعرٌ ملحميٌّ وانّ ما انجزه في الشاهنامة كلّه ذو جانبٍ ملحميٍ ليس صحيحاً، فشاهنامة الفردوسي تحتوي ايضاً على موضوعات اخلاقية، والفردوسي في ملحمته يعرف القارئ ببشاعة الكذب وبمزايا الصدق، ولاينفكّ يتحدّث عن الاستقامة واهميّة الوفاء بالعهد واستشارة العلماء، ويوضّح قبح الغضب والحسد والعواقب السيّئة للحرص والطمع والتسرع. ويمدح فضائل القناعة والأخذ بيد الفقراء والمساكين والعفو عمّا سلف. ويقول للبشر:

ابتعدوا عن الحرب والمخاصمة وسفك الدماء واحذروا الغرور وحبّ الذات والعُجب. والفردوسي يشجع الناس على تحصيل العلم والمعرفة، ويرى ان تحصيل العلم شيء ضروريٌ ليس هناك بدٌّ من التعلّم، فهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟!

ويوصي الفردوسي الناس بطلب المعرفة وكسب العلم ويعتقد انّ المعرفة هي أساس زينة قلب الانسان وروحه، يقول:[٣٨]

بیارای دل را به دانش که اَرْز
به دانش بود چون بدانی بورز

يعني: زيّن القلب بالمعرفة؛ فانّ القيمة للمعرفة، وعندما تعرف هذا، فتعلّم.

ويتحدّث صراحة في موضعٍ آخر بانّ المعرفة هي اساس غنى نفس الانسان وروحه، يقول:[٣٩]

به دانش روان را توانگر کنید
خرد را بدین برسر افسر کنید

يعني: اجعل النفس غنيّة بالمعرفة، وبها اجعل العقل متوج الرأس.

ويعتبر الفردوسي المعرفة اساس التربية الروحية وسبب رقي البشر وسموهم، يقول:[٤٠]

زدانش چو جان ترا مایه نیست
به از خامُشی هیچ پیرایه نیست

يعني: اذا لم يكن لدى روحك قدرٌ من المعرفة، فانّ افضل زينة لك هي الصمت.

ويقول الفردوسي في موضع آخر:[٤١]

زدانش دَر بی‌نیازی مجوی
وگر چند از او سختی آید به روی

يعني: لا تبحث عن باب الاستغناء في العلم، مهما صادفك فيه من صعاب.

وفي الواقع يريد ان يقول: ليس البشر في غنى عن المعرفة في ايّ مجتمع وعليهم ان يطلبوا العلم بجدّ وجهد.

ويؤمن الفردوسي باهميّة العقل، ومن عجبٍ انّه ينتقل في ملحمته من تحميد الله الى مدح العقل مباشرة ويقول[٤٢] بعد تحميد الله تعالى:

به نام خداوند جان و خرد
کزین برتر اندیشه برنگذرد

ثمّ يقول:[٤٣]

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-03]
[DOR: 20.1001.1.23834269.1411.2.12.1.3]

خرد افسر شهریاران بود
خرد زیور نامداران بود
خرد زندهٔ جاودانی شناس
خرد مایهٔ زندگانی شناس

يعني: انّ العقل-هو تاج الملوك، وزينةُ العظماء.
اعلم انّ العقل هو الحيُّ الابدي، وانّه أسُّ الحياة.
وايضاً يقول:

کسی کو ندارد خرد را زپیش
دلش گردد از کردهٔ خویش ریش

يعني: الذي لا يكون العقل دليلاً امامه، فانّ قلبه يُصاب من فعله بالجراح.
وايضاً يقول:

خرد چشم جان است چون بنگری
تو بی‌چشم شادان جهان نسپری
همیشه خرد را تو دستور دار
بدو جانت از ناسزا دور دار

يعني: العقل هو عين الروح عندما تمعن النظر، وانّك لا تعيش في الحياة سعيداً بلا بصر، اجعل العقل ناصحاً لَك على الدوام، وأبعِد به روحك عن كلّ ما لا يليق.
ويرى الفردوسي انّ العقل لازم للاديان ايضاً، وانّه لابُد لتعاليمها ان تتفق مع العقل، يقول:

هرآن دین که باشد بخوبی بپای
برآن دین بباشد خرد رهنمای

يعني: كلّ دين يكون ثابتاً راسخاً، لابدّ ان يكون العقلُ له دليلاً.
ويعدّ الفردوسي الاستقامة ضرورية للبشر من اجل صفاء قلوبهم واستنارة بواطنهم ويعتقد انّ على البشر ان يتجنبوا الاعوجاج وسوء النيّة.
يقول:[٤٤]

همه روشنی مردم از راستی است
زتاری وکژی بباید گریست

يعني: انّ كلّ ضياء البشر من الاستقامة والصداقة، فعليهم تجنّبُ الاعوجاج وسوءِ النيّة.
ويذمّ الفردوسي الإغلاظ في القول والغضب والفظاظة، ويدعو الى التحدّث مع الآخرين برقّةٍ ولينٍ، لا بطريقةٍ يتألّمون منها، يقول:[٤٥]

سخن نرم گوی ای جهاندیده مَرْد
مَیالای لب را به گفتارِ سَرْد

يعني: تحدّث بلين ايّها الرجل المجرّب، ولا تلوّث شفتيك بالقول القبيح.
ويذمّ الفردوسي التطاول على مال الآخرين ويعتبره امراً مستقبحاً ويقول:[٤٦]

زچیز کسان دور دارید دست
بی‌آزار باشید و یزدان پرست

يعني: كفَّ يديك عن املاك الآخرين، لا تكن مُؤذياً وكن عابداً للّه.
ويقول الفردوسي للناس: تجنّبوا ايذاءَ الآخرين، ثُمَّ يُعطيهم دروساً في الاخلاق ويقول:[٤٧]

مجویید آزار همسایگان
بویژه بزرگان و برمایگان

يعني: انّه ينبغي ألّا يُؤذوا جيرانَهم ولا تَسْع في ايذاء الجيران، خاصّة اصحاب الشأن وذوي القدر.
وكان الفردوسي يعتقد كثيراً في الضمير الاخلاقي او ما اصطلح عليه بالنفس اللوامة التي تعاتبُ الانسان بعد ارتكابه الذنب وتجعله حذراً من القبائح وهذه هي احدى النصائح التي يقولها الرجل العالم [بزرجمهر] للملك الساساني [انوشروان]:

چهارم چنان دان که بیم گناه
فزون باشد از بند وزندان شاه[٤٨]

ويحذّر الفردوسي البشر من التسويف وتأجيل الأعمال والتقصير في أداء الواجبات ويقول:[٤٩]

به فردا ممان کار امروز را
بَرِ تخت منشان بدآموز را

يعني: لا تُؤجل عمل ألْيوم الى الغد، ولا تُجلس الى جوار عرشك من يسيء النصيحة.
كان الفردوسي مسلماً مؤمناً باللّه الواحد، وبنبوّة الرسول(ص) ويستشفُ من شعره انّه عابد للّه الواحد القادر الذي خلق هذه الدنيا من العدم وجعلها وجوداً، والذي يُدير الفلك ويدلّ الى الخيرات وحقيقة ذاته خافية عن ابصارنا

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-03]
[DOR: 20.1001.1.23834269.1411.2.12.1.3]

بالرغم انّ الموجودات مظهر له وهو اعلى من الفكر والعقل والوهم، لانّنا مهما تصوّرنا في شأنه فانّ هذا التصور وليدُ خيالاتنا، يقول:(٥٠)

زنام ونشان وگمان برتراست
نگارندهٔ برشده گوهر است
نيابد بدو نيز انديشه راه
كه او برتر از نام و از جايگاه

يعني: هو اعلى من الاسم والرسم والخيال، وهو مصوّر السموات العُلى لا يجد الفكر طريقاً اليه، فهو اسمى من الاسم ومن المكان.

وللفردوسي في مقدّمة الشاهنامة اشعارٌ في مدح الصحابة وخلود الروح والايمان بيوم الحساب.

لقد كان الفردوسي عظيماً من الناحية الأخلاقية ومبرأً من الكدية ونظم المدائح لنيل الصلات والملق والنفاق الذي لا معنى له، فكثيراً ما تحدّث في نصائحه ذامّاً ايذاء الخلق واقتراف الكذب. لم يكن حريصاً عابداً للدنيا ولم ترد في شعره كلمةٌ نابية مستهجنة على الاطلاق، بل انّ شعره كلّه مليءٌ بالعفّة وطلاوة القول.

وعلى وجه العموم ينبغي ان نقول انّه بالرغم من انّ شاهنامة الفردوسي تعدّ منظومة ملحميّة، الّا انّها لا تخلو من الموعظة والنصيحة والاقوال الممتزجة بالحكمة. ومعظم الكلمات والاقوال الاخلاقية في الشاهنامة، نقلها الفردوسي عن بزرجمهر. وبحسب مقتضى الحال كان يسوق في نهاية كل قصّة اقوالاً اخلاقية ليتخذ منها القارئ العبرة.

لقد ذكرتُ هذه الاقوال، حتى يسعى البشر إلى تنفيذ التعاليم الحكيمة والاقوال السامية للفردوسي في حياتهم ويكافحوا على الدوام ليحلوا أنفسهم بزينة علم الفردوسي وفضله ورأيه؛ لأنّ المجتمع اليوم في حاجة الى هذا النوع من البشر، المثقفين ذوي الاخلاق الحميدة اكثرمن ايّ شيءٍ. وينبغي ان يكافح البشر حتّى يتحلّوا بهذا النوع من الصفات التي تحدّث عنها الفردوسي، وأن يتجاوزوا عن المهازل التي لا تليق بهم ويقوموا بعمل تثمر به اشجار وجودهم، وتزهر وتلقى بالظلّ، حتى يتقرّبوا من الكمال اكثر فأكثر.

المصادر والهوامش:

* الشاهنامةُ كلُّها من البحر المتقارب وفي شكل المثنوي.

** مثالها «ظفرنامه» [كتاب الظَفَر أو النّصر] لحمد اللّه المستوفي القزويني وشهنشاه نامه [كتاب الامبراطور] لملك الشعراء صبا.

*** مثل منظومة خاوران نامه [الكتاب المشرقي] وحملة حيدري [الكرّ الحيدري] لابن حسام.

١ـ منتخب الشاهنامة، لمحمّد علي فروغي و حبيب يغمائي، ص٥٢٤.

٢ـ لمزيد الاطلاع، انظر: مقدّمة الشاهنامة للدكتور عبدالوهاب عزّام، ص٢٣.

٣ـ المثلُ السائر، طبعة دار النهضة المصرية، ج٤، ص١٢.

٤ـ المصدر السابق، ج٤، ص١١.

٥ـ لمزيد الاطلاع، انظر: مقالة الاستاذ فروغي في «هزارهٔ فردوسى»: ص٨.

٦ـ منتخب الشاهنامة، ص٤٩:

بگير اين سر گيسو ز ريگ سويه
زبهر تو نامه همى گسترم
بدان پروراندم اين تار را
كه تا دستگيرى كند يار را

* صرخت وطارت شعاعاً وشقّت جيبها نائحةً على ذلك الصبّي الغُصن وانطلقت صارخة معولة نائحة، واخذت تفقد وعيها بين لحظةٍ واُخرى.

٧ـ منتخب الشاهنامة، ص١٧٦

٨ ـ انظر: شاهنامة الفردوسي، مطبعة بروخيم، طهران، ١٣١٤هـ. ش، ج٩، ص٢٧٩٩.

٩ـ منتخب الشاهنامة، ص٥٦٥.

١٠ـ المصدر السابق، ص٤٢٣.

١١ـ المصدر السابق، ص٢١٦.

١٢ـ انظر شاهنامة الفردوسي، مطبعة مسكو ١٩٧٠، ج٨، ص١٢٢.

١٣ـ المصدر السابق، ج٨، ص١٢٢.

١٤ـ المصدر السابق، ج٨، ص١٢٢.

١٥ـ المصدر السابق، ج٨، ص١٢٢ و١٢٣.

١٦ـ المصدر السابق، ج٨، ص١٢٣.

١٧ـ المصدر السابق، ج٨، ص١٢٣.

١٨ـ المصدر السابق، ج٨، ص١٢٣ و١٢٤.

١٩ـ المصدر السابق، ج٨، ص١٢٤.

وفي نسخة طبعة مسكو ج٨ ص١٢٤ هكذا:

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-03]
[DOR: 20.1001.1.23834269.1411.2.12.1.3]

Page 21

دگر گو زنادیدنیها امید
چنان بگسلد دل چو از باد بید

٢٠ـ منتخب الشاهنامة، ص٥٨٢.
٢١ـ المصدر السابق، ص٥٨٢ و٥٨٣.
٢٢ـ شاهنامة الفردوسي، مطبعة مسكو، ١٩٧٠، ج١، ص٧.
٢٣ـ لمزيد الاطلاع، انظر: مقالة الأستاذ فروغي في «هزارهٔ فردوسي»، ص٣٥.
٢٤ـ المصدر السابق، نفس الصفحة.
٢٥ـ المصدر السابق، نفس الصفحة.
٢٦ـ منتخب الشاهنامة، ص٥٧١.
٢٧ـ ـ المصدر السابق، ص١٢.
٢٨ـ انظر: مقالة الأستاذ فروغي في «هزارهٔ فردوسي»، ص٣٥.
٢٩ـ منتخب الشاهنامة، ص٥٤٠.
٣٠ـ المصدر السابق، ص٥٩٦.
٣١ـ المصدر السابق، ص٥٩٧.
٣٢ـ لمزيد الاطلاع، انظر: مقالة الأستاذ رشيد ياسمي في «هزارهٔ فردوسي»، ص٢٠٥.
٣٣ـ المصدر السابق، نفس الصفحة.
٣٤ـ المصدر السابق، نفس الصفحة.
٣٥ـ المصدر السابق، نفس الصفحة.
٣٦ـ المصدر السابق، ص٢٠٥ و٢٠٦.
٣٧ـ انظر: شاهنامة الفردوسي، مطبعة بروخيم، طهران، ١٣١٤هـ ش، ج٧ ص٢١١٧.
٣٨ـ منتخب الشاهنامة، ص٥٤٣.
٣٩ـ المصدر السابق، ص٥٦٤.
٤٠ـ المصدر السابق، ص٥٧٩.
٤١ـ المصدر السابق، ص٥٨٣.
٤٢ـ شاهنامة الفردوسي، مطبعة مسكو، ١٩٧٠، ج١، ص١.
٤٣ـ المصدر السابق، نفس الصفحة.
٤٤ـ المصدر السابق، ص٥٧٨.
٤٥ـ المصدر السابق، ص٢٦٥.
٤٦ـ المصدر السابق، ص٥٦٤.
٤٧ـ المصدر السابق، نفس الصفحة؛ وايضاً انظر: شاهنامة الفردوسي، طبع بروخيم، ج٧، ص٢٢٠٩
٤٨ـ المصدر السابق، ص٥٤١.
٤٩ـ المصدر السابق، ص٥٤٢.
٥٠ـ شاهنامة الفردوسي، مطبعة مسكو، ١٩٧٠، ج١، ص١.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-03]
[DOR: 20.1001.1.23834269.1411.2.12.1.3]